مرحلة إعادة الإعمار في سورية

رؤية أصولية، واقتصادية

د. وليد محمد حنيفي

دكتوراه في الاقتصاد الإسلامي

مدير مركز الهادي للقرآن والسنة / مرسين-تركيا

الجزء (٢ / ٢)

يُعالجُ البحث مراحل إعادة إعمار الأرض السورية، بعد الحرب عليها، وفقْد مقوماتها الحضارية، التي أثّرت على أصالتها وهويتها، وذلك من ناحية أصوليَة واقتصادية؛ انطلاقًا من الواجب الشرعي لعمارة الأرض، مع توضيح الهدف من الإعمار، والمحور الرئيس لعمارة الأرض، والعوائق التي تعترض طريقَ مراحل إعمارِ الأرض السورية.

المبحث الثاني: إعادة إعمار الأرض (الحالة السورية أُنموذجًا)

وفيه أربعة مطالب: آثار الحرب على الأرض السورية، الهدف من مراحل إعادة إعمار الأرض السورية بشكل عام، الهدف من مراحل إعادة إعمار الأرض السورية من منظور الاقتصاد الإسلامي، المحور الرئيس لعملية إعمار الأرض السورية.

المطلب الأول: آثار الحرب على الأرض السورية

الأرضُ السورية مرّت بِتسعِ سنوات من الحرب والدمار، وهلاك الحرث، والنسل، وأعمالِ العنف، والقتل، والطائفية العنصرية المقيتة؛ أدت إلى تمزيق النسيج الاجتماعي المتعدد الأطياف؛ من الأعراق، والأديان، والأجناس، والتوجهات السياسية وغيرها.

وهذا أدّى إلى خراب البُنْية التحتية والمؤسسات التعليمية، والصحية، وغيرها، فكانت الحرب في سورية من أسوأ الكوارث الإنسانية، والاقتصادية، مع تأثير كبير غير مباشر على بقية بلدان العالم، **إنَّ الحرب في سورية تركت تأثيرات عميقة ومتعددة على الأرض السورية، ويمكن تلخيص هذه التأثيرات في عدة جوانب؛ فمن أهم آثار الحرب على سورية ما يأتي:**

- الآثار على الموارد البشرية: وثّق المرصد السوري لحقوق الإنسان مقتل أكثر من (٣٨٠) ألف شخص على الأراضي السورية، منذ انطلاقة الثورة في ال ١٥ من آذار / مارس منذ عام٢٠١١م، وحتى فجر اليوم الأول من العام الجاري ٢٠٢٠م، ولم تشمل هذه الإحصائيةُ المفقودينَ، والمعتقلينَ، والمخطوفينَ من المدنيين، والأسرى[1]. وبحسب صحيفة الغد وثّقت ١١.٥ مليون نازح ولاجئ[2]. هذا يعني خسارة كبيرة في رأس المال البشري في سوريةَ نتيجةَ الحرب.
- آثار التدمير الواسع للبنية التحتية: إنَّ الحرب في سورية أدت إلى تدمير واسع في البُنْية التحتية، فتمَّ تدمير الشوارع، وشبكة الكهرباء، والمياه، وخطوط الصرف الصحي، وتدمير مؤسسات المجتمع المدني التي تقدم الخدمات الصحية، والاجتماعية، وغيرها... الخ[3].

بما في ذلك الطرق والجسور، والمباني السكنية، والمرافق العامة مثل المستشفيات والمدارس. والعديد من المدن والقرى تعرضت لدمار شبه كامل، ما أثر على حياة الملايين من السوريين؛ فقد قامت طائرات البراميل، والدبابات والجرافات بمسحِ مناطقَ بأكملها وتسويتها بالأرض وهذا الجدول يبين لنا الخراب والدمار الذي حلَّ بسورية حيث نشر معهد الأمم المتحدة للبحث والتدريب بالمحافظات والمدن السورية خلالَ الأعوام الثمانية الماضية مستنداً في ذلك على تحليل صور الأقمار الصناعية، وعرض خرائط تبين توزع الدمار وكثافته في ١٦ مدينة ومنطقة سورية"[4].

1	المباني المدَّمرة كليًا	26،887
2	المباني المدَّمرة بشكل بالغ	46،160
3	المباني المدمرة جزئيًا	48،285

يُعدُّ الأثر الفيزيائي للحرب على البيئة الحضاريّة من أوضح الآثار المرئية، وأكثرها كلفةً وإلحاحًا لإعادة البناء، إذ تتضرر المباني والمرافق العامة والبُنى التحتية والهيكل العمراني[5].

---

[1] المرصد السوري لحقوق الإنسان، 4، يناير، 2020م، تمت مراجعته بتاريخ: 28/ 9/ 2020م عند الموقع رضي الله عنهرضي الله hصلى الله عليه وسلمegoرضي الله عنهcom/caصلى الله عليه وسلمiahصلى الله عليه وسلمps://www.syعنه

[2] صحيفة الغد الأردنية، 17/ 6/ 2020م.

[3] المرجع نفسه، ص79. بتصرف.

[4] عنب بلدي، الحقوق العقارية في خطر، 1/8/2021م.

[5] استراتيجيات إعادة الإعمار بعد الحروب والكوارث في فلسطين، معاذ محمد بشير مدحت الطاهر، ص78، رسالة ماجستير، مقدمة في جامعة النجاح الوطنية في فلسطين، 2011م. بتصرف.

والبُنية الفيزيائية في حقيقتها انعكاس لحياة الناس الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتاريخ، والتكنولوجيا[1].

- الآثار الاقتصادية: يتأثرُ الاقتصاد عمومًا أعقابَ الحروب، حيث تُحْدِثُ أضراراً بالغةً تؤدي في بعض الأحيان إلى تدميرٍ كُلّي للاقتصاد، فتتأثر المشاريع الخاصة، والصناعية، والزراعية، وتتعطل الحركة التجارية، وبناءً عليه ينقص التمويل على المستوى الفردي والمستوى العام، في وقت تزداد فيه الحاجة للتمويل لإعادة الإعمار، وتنخفض قيمة العملة المحلية، ويظهر التضخم بشكل جلي، وتنتشر البطالةُ في المجتمع، وتكثر السرقات[2].

تعيش سورية أزمة اقتصادية ومعيشية حادة في ظل جمود بالملف السياسي، وغياب أي حلول اقتصادية بيد النظام السوري لتحسين الواقع المعيشي. وهذا أدّى إلى انهيار الاقتصاد السوري وزيادة معدلات الفقر والبطالة، ما أثر على حياة المواطنين بشكل كبير حيث ظهر الفقر بشكل جلي. واقتصرت سياسات الحكومة السورية على إنشاء وترخيص شركات واجهات اقتصادية من قبل رجال أعمال مقربين من النظام، بعقود تفتقد للشفافية والوضوح، وخصخصة شركات متعددة في قطاعات حيوية تمثل الثروة القومية لسوريا وفي ظل "اقتصاد الحرب" أو "الندرة" الذي تعيشه سوريا حاليًا، وانهيار المؤسسات الاقتصادية وهجرة رجال الأعمال ودمار البنى التحتية، وغموض المستقبل السياسي للبلاد، يبدو أن مستقبل الاقتصاد السوري ليس ضبابيًا فحسب، بل بلا ملامح أيضًا. ما أدى إلى استنزاف موارد الدولة وتحول الاقتصاد السوري إلى اقتصاد حرب، واتباع طرق جديدة للتعامل مع نقص الموارد والسلع[3].

- الآثار النفسية والاجتماعية: في أوقات الحروب تتفاقم المشكلات الاجتماعية، وينتشر الفقر والمرض والجهل (الثالوث المخيف)، إضافة إلى فقد الحاجات الأساسية، وتدهور وضع المعيشة، وانتشار البطالة، ما يؤدي إلى ظهور مشكلات اجتماعية عميقة، يجب حلها ومعالجتها بسرعة كبيرة، وإعطائها ما تستحق من الاهتمام اللازم، إضافة إلى تأثير العمليات العسكرية على الصحة النفسية للسكان، فقد ظهرت على السكان ولا سيما الأطفال أعراض الصدمات النفسية، والقلق، والخوف،

[1] استراتيجيات إعادة الإعمار بعد الحروب والكوارث في فلسطين، معاذ محمد بشير مدحت الطاهر، ص17، بتصرف.
[2] المرجع السابق، ص78. بتصرف.
[3] الاقتصاد السوري بلا ملامح، للكاتب يامن المغربي، من صفحة عنب بلدي.

والاكتئاب، وكثرة الأيتام، وانتشار الأرامل، الذين لا حَوْلَ لهم ولا طَوْلَ، ما يؤدي إلى تفسخ المجتمع أخلاقيًا[1]. إنَّ الحرب في سورية أدت إلى تفكك النسيج الاجتماعي وتزايد العنف والانقسامات الطائفية والإثنية. وهذه الاضطرابات خلقت جواً من عدم الثقة والخوف بين المجتمعات المختلفة، ما يزيد من صعوبة عملية المصالحة وإعادة البناء.

- الآثار الثقافية: في الحروب يتم تدميرُ الشواهدِ الدينية، والثقافية، والتاريخية، وطمسُ الهوية، وهذا ما تم عن عمدٍ في الحرب السورية من قبل مليشيات الأسد وإيران وروسيا، سواء كانت هذه الشواهد الثقافية فيزيائية مبنية، كالمراكز الثقافية، والمدن، التاريخية، والمعالم والرموز الدينية، أو كانت تنمُّ عن ثقافة معنوية في العادات والتقاليد، أو في التاريخ المدوَّن، أو موادَّ تُدَرَّس في المدارس، وذلك بهدف تغيير الصورة المرئية في البيئة الحضاريّة، وتزوير التاريخ، وفرض هوية جديدة للمكان الجغرافي، والديمغرافي[2]. فالحرب أدت إلى تدمير العديد من المواقع الأثرية والتاريخية في سورية، مثل مدينة تدمر الأثرية وبعض المعالم في حلب. هذا التدمير أثر على التراث الثقافي العالمي وأدى إلى فقدان جزء مهم من الهوية الثقافية السورية.
- الآثار السياسية: اهتزازُ الأوضاع السياسية يصاحبُ الحروب في الغالب، وتمتاز الأوضاع بالارتباك، والتشتت وعدم الاستقرار، ما يؤدي إلى ضعف شديد، أو انهيار الحكومات على مختلف المستويات المحلية، أو الإقليمية، أو الوطنية، ويختلف الوضع من حكومة إلى أخرى حَسْبَ قوةِ هذه الحكومات، ومدى مرونتها، وجاهزيتها، وقدرتها على التعامل مع الظروف الطارئة، لاستعادة الحياة وإعادة الإعمار، ومن أهم عوامل نجاح عمليات إعادة الإعمار أن يتم إعادة الاستقرار السياسي؛ لأنه مبعث الأمان والاستقرار للمجتمع؛ (لأنَّ الحربَ فَشَلُ السياسةِ)[3].
- آثار الأمن الغذائي: الحرب أثرت بشكل كبير على القطاع الزراعي، ما أدى إلى نقص في الغذاء وارتفاع أسعاره. تدمير الأراضي الزراعية وتهجير الفلاحين جعل من الصعب تأمين الغذاء بشكل مستدام للسكان.

---

[1] المرجع نفسه، ص15-78. بتصرف.

[2] استراتيجيات إعادة الإعمار بعد الحروب والكوارث في فلسطين، معاذ محمد بشير مدحت الطاهر، ص15.

[3] المرجع السابق، ص16. بتصرف.

- آثار تدهور القطاع الصحي: البنية التحتية الصحية تعرضت لأضرار كبيرة، حيث تم تدمير أو تعطيل العديد من المستشفيات والعيادات. نقص الإمدادات الطبية وغياب الكوادر الصحية جعل من الصعب على الناس الحصول على الرعاية الصحية الأساسية، ما أدى إلى تفاقم الوضع الصحي.
- آثار التلوث البيئي: إنَّ الحرب تسببت في تلوث بيئي خطير نتيجة استخدام الأسلحة الثقيلة، وتدمير المنشآت الصناعية، وحرق الغابات. التلوث أثر على جودة الهواء والمياه، ما أدى إلى مشكلات صحية خطيرة للسكان المحليين.
- آثار النزوح السكاني: الملايين من السوريين اضطروا للنزوح داخل البلاد أو اللجوء إلى الخارج بسبب الحرب. هذا النزوح أدى إلى تغيير ديموغرافي كبير، حيث أصبحت بعض المناطق شبه خالية من سكانها الأصليين، بينما اكتظت مناطق أخرى بالنازحين.
- يتضح لنا بشكل عام، أنَّ الحرب في سورية تركت تأثيرات مدمرة على الأرض والناس، وتسببت في تغييرات عميقة تتطلب جهوداً كبيرة لإعادة البناء والتعافي.

المطلب الثاني: أهداف إعمار الأرض السورية بشكل عام

إنَّ إعادة إعمار الأرض السورية من منظور الاقتصاد الإسلامي تهدف إلى تحقيق تنمية شاملة ومستدامة تقوم على مبادئ العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروات. والمراحل الرئيسة لهذا الهدف يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

١. **إصلاح البنية التحتية المتضررة**: الحرب في سورية أدت إلى تدمير كبير للبنية التحتية بما في ذلك الطرق، الجسور، شبكات الكهرباء والمياه والهاتف، والمرافق الصحية والتعليمية. وإعادة الإعمار من منظور علمي تهدف إلى ترميم هذه البنية الأساسية بشكل يحسن من كفاءتها ويعزز من قدرتها على خدمة السكان بشكل مستدام.

٢. **التنمية الاقتصادية**: إعادة الإعمار تعد ضرورية لإعادة تشغيل الاقتصاد السوري. والبحث العلمي يساهم في تطوير استراتيجيات اقتصادية تهدف إلى إعادة بناء القطاعات الإنتاجية مثل الزراعة والصناعة والخدمات، ما يؤدي إلى خلق فرص عمل جديدة واستعادة النشاط الاقتصادي.

٣. **الاستقرار الاجتماعي والنفسي**: أثرت الحرب بشكل كبير على النسيج الاجتماعي للسوريين. وإعادة الإعمار ليست مجرد عملية بناء مادي، بل هي أيضًا إعادة بناء للروابط الاجتماعية والنفسية بين الأفراد والمجتمعات. والأبحاث العلمية تساعد في تصميم برامج إعادة التأهيل الاجتماعي والنفسي للمجتمعات المتضررة، ما يعزز من عملية التعافي والاستقرار.

٤. **الحفاظ على التراث الثقافي**: سورية تمتلك تاريخًا وثقافة غنيين، وقد تعرض العديد من المواقع الأثرية والتراثية لأضرار جسيمة، وإعادة الإعمار تهدف إلى الحفاظ على هذا التراث واستعادته، وهذا يتطلب دراسات علمية دقيقة لتحديد الأساليب المثلى لترميم هذه المواقع وفق المعايير الدولية.

٥. **التحديات البيئية**: الحرب في سورية أدت إلى تدهور البيئة في العديد من المناطق، إعادة الإعمار توفر فرصة لتصحيح هذه الأضرار من خلال البحث عن حلول مستدامة لإدارة الموارد الطبيعية، ومعالجة التلوث، وإعادة تشجير المناطق المتضررة، ما يساهم في تحسين جودة الحياة للسكان.

٦. **التكيف مع التغيرات المناخية**: في إطار إعادة الإعمار، يتم إدخال تقنيات حديثة تساعد في بناء مجتمعات ومدن قادرة على التكيف مع التغيرات المناخية المستقبلية، مثل استخدام الطاقة المتجددة وتصميم مبانٍ مقاومة للظروف المناخية القاسية.

٧. **تعزيز الأمن الوطني**: استعادة البنية التحتية والأمن الغذائي والطاقة من خلال إعادة الإعمار يسهم في تعزيز الأمن الوطني. والبحث العلمي يمكن أن يقدم استراتيجيات لدعم الأمن من خلال تحسين الأمن الغذائي، وتأمين مصادر طاقة مستقرة، وتطوير نُظُم الحماية من الكوارث الطبيعية والبشرية.

يتضح لنا أنَّ إعادة الإعمار في سورية ليست مجرد عملية ترميم ما تهدم، بل هي فرصة لبناء دولة أكثر قوة واستدامة من خلال تطبيق المبادئ العلمية والتكنولوجية في جميع جوانب إعادة البناء[1].

[1] الباحث.

المطلب الثالث: أهداف إعمار الأرض السورية من منظور الاقتصاد الإسلامي

أولاً- التخطيط والتنظيم وفق المبادئ الإسلامية:

١. **النية والتخطيط الجيد:** تبدأ عملية إعادة الإعمار بتحديد النية الخالصة لخدمة المجتمع والبلاد، مع وضع خطط تتماشى مع تعاليم الشريعة الإسلامية. يشمل ذلك مراعاة الحقوق والواجبات الاجتماعية والبيئية، وضمان التوزيع العادل للموارد.

٢. **الإدارة الرشيدة والشفافية:** في الاقتصاد الإسلامي، تتطلب إدارة الموارد العامة النزاهة والشفافية. لذلك، يجب أن تكون إدارة عملية إعادة الإعمار مبنية على أسس الشفافية والمساءلة، مع مراعاة الالتزام بمبادئ الشفافية في جميع مراحل التنفيذ.

ثانيًا- توفير التمويل الإسلامي:

١. **التمويل من خلال أدوات الصيرفة الإسلامية:** يشمل ذلك استخدام صيغ تمويلية إسلامية مثل (المشاركة) و(المضاربة) و(المرابحة) لتمويل مشاريع إعادة الإعمار. وهذه الأدوات توفر التمويل دون الفائدة الربوية، ما يساعد على تجنب الديون غير الشرعية.

٢. **تشجيع الوقف:** إنشاء أوقاف لإعادة الإعمار يمكن أن يكون وسيلة فعالة لتوفير التمويل المستدام لمشاريع البنية التحتية والخدمات الاجتماعية، مثل بناء المستشفيات والمدارس والمساجد.

ثالثًا- التنمية الشاملة والمستدامة:

١. **التنمية المتوازنة:** إعادة إعمار المدن والقرى بشكل متوازن يراعي احتياجات جميع المناطق دون تمييز، مع التركيز على تحقيق العدالة الاجتماعية وتوفير فرص عمل للسكان المحليين.

٢. **تعزيز التنمية المستدامة:** يُركز على مشروعات التنمية التي تساهم في تحقيق الاكتفاء الذاتي وتعزيز الاستقرار الاقتصادي، مثل دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة وتوفير فرص العمل.

٣. **الحفاظ على البيئة:** الاقتصاد الإسلامي يؤكد على أهمية حماية البيئة والموارد الطبيعية. يجب أن تشمل خطط إعادة الإعمار مبادئ الاستدامة البيئية واستخدام التقنيات الصديقة للبيئة.

٤. **التكافل الاجتماعي:** تعزيز التضامن الاجتماعي من خلال إنشاء شبكات أمان اجتماعي، ورعاية الفئات الأشد ضعفًا مثل الأيتام والأرامل والفقراء، وضمان حصولهم على حقوقهم الأساسية.

رابعًا- تحقيق العدالة الاجتماعية:

١. **التوزيع العادل للثروات**: التأكد من أن ثمار إعادة الإعمار تصل إلى جميع فئات المجتمع، وليس... فقط إلى النخب أو الطبقات الثرية. يتم ذلك من خلال توزيع الفرص الاقتصادية بشكل عادل وتوفير الخدمات الأساسية للجميع.

٢. **منع الاحتكار**: تجب الحيلولة دون وقوع احتكار للموارد أو الثروات من قبل فئات محددة، وضمان أن جميع أفراد المجتمع يستفيدون من عملية إعادة الإعمار.

خامسًا- تعزيز التعاون والتكامل الإقليمي:

التكامل الاقتصادي مع الدول الإسلامية: تعزيز التعاون مع الدول الإسلامية الأخرى للاستفادة من خبراتها ودعمها المالي والفني في عملية إعادة الإعمار. في النهاية، الهدف من إعادة إعمار الأرض السورية وفق الاقتصاد الإسلامي هو بناء مجتمع مستدام يتمتع بالعدالة الاجتماعية، والرفاهية الاقتصادية، والتمسك بالقيم الإسلامية، وذلك من خلال مراحل متكاملة تركز على الإنسان والأرض معًا.

بهذا يتضح لنا أنَّ عمارة الأرض متعددة الأبعاد، تكون بكل ما يُصلِحُها وينفعها، وينفع البشر، لا بما يُفسدُها.

وإلى هذا المعنى يُشير الدكتور القرضاوي بقوله: "عمارة الأرض تكون: بالغرس، والزرع، والبناء، والإصلاح، والإحياء، والبُعْدِ عن كل فساد، أو إخلال، إنّ لفظَ العمارةِ يحمل في مضمونه التنميةَ الشاملةَ، والنهوضَ بالمجتمع في مجالات الحياة الإنسانية المختلفة، وهذا جوهرُ ما تسعى إليه التنميةُ في الاقتصاد المعاصر، الإسلامُ ينَظرُ إلى العمارة نظرةً شموليةً تجمعُ بين تطوير كل ما في الأرض من الموارد البشرية والطبيعة؛ فلذلك اهتَّم الإسلام بالعمارة واعتبرها عبادةً وقُربةً لله تعالى؛ قال الله تعالى: **هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** (هود: ٦١)[1].

[1] رعاية البيئة في شريعة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، يوسف، ص24، 2011م. القاهرة: دار الشروق.

المطلب الرابع: المحور الرئيس لعملية إعمار الأرض السورية

يمكن أن نحدد عنصرين مهمين لتحقيق إعادة الإعمار في سورية، وهما:

أولاً–العنصر البشري:

الإنسانُ محور عملية الإعمار، لأنَّ الله تعالى جعله قيمة حقيقة باستخلافه في الأرض بما منحه الله تعالى من قُدَرٍ ذهنية وجسدية متميزة، فقال الله تعالى: **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** (البقرة: ٣٠).

يُعدُّ العنصر البشري غاية إعمار الأرض؛ لأنه المستخلف لعمارة الأرض وإحيائها، قال الله تعالى: **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ** (الأنعام: ١٦٥). قال ابن كثير: "أَيْ: جَعَلَكُمْ تُعَمِّرُونَ الْأَرْضَ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، وَقَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَخَلَفًا بَعْدَ سَلَف"[1].

وهذا الكون برُمَّتِه مسخَّرٌ لخدمة العنصر البشري، قال الله تعالى: **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** (لقمان: ٢٠).

وبما أنَّ العنصرَ البشري هو المدعوُّ لعمارة الأرض، وهو الذي سُخِّرَ له ما في السماوات والأرض، فهذا يعني شدة الاهتمام به واحترامه وتقديره، وهذا يَتطلب إعدادَهُ إعداداً قويًا؛ للقيام بمهمة الاستخلاف والإعمار المنوطة به على أكمل وجه، وتظهر مظاهرُ الإعداد من خلال تدريبه التدريبَ الجيِّدَ للعمل المهني والفني والعِلمي وعلى الأخلاق الإسلامية العلمية باليد اليمنى، والمهنية باليد اليسرى، حتى يكون مؤهَّلاً لعمارةِ الأرض بقوةٍ وأمانةٍ، قال الله تعالى: **يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ** (القصص: ٢٦).

وجهُ الدَلالةِ في الآية يقول المراغي: "متى اجتمعت هاتان الصفتان: الأمانةُ والكفايةَ في القائم بأداءِ أمرٍ من الأمور تكلَّلَ عملُهُ بالظَفرَ، وكُفِلَ له أسباب النجاح"[2].

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ج3، ص384، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774ه)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420ه -1999م.

[2] تفسير المراغي، ج20، ص51، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371ه)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365ه -1946م.

وعلى ضوء هذا فنحن بحاجة إلى العنصر البشري الذي يملك الكفاءة والخبرة، إلى جانب القوة والأمانة، حتى يقوم بواجب الإعمار على أتم وجه.

والتاريخ الإسلامي يشهد كيف كانت الأمة الإسلامية في مقدمة الدول اقتصاديًا وسياسيًا عندما كان المسلمون يقومون بواجبهم في عمارة الأرض، والواقع الحالي يشهد عكس ذلك تمامًا بسبب تقاعسنا عن القيام بدور الاستخلاف وعمارة الأرض[1].

ويظهر لنا أنَّ بناء الإنسان يكون في أمرين اثنين وهما:

١. **التعليم والتدريب**: تطوير نظام تعليمي يتماشى مع القيم الإسلامية ويوفر المهارات اللازمة لإعادة الإعمار. كما يشمل ذلك برامج التدريب المهني لتمكين الشباب والعاطلين عن العمل من المشاركة الفعالة في عملية إعادة الإعمار.

٢. **التربية الدينية والقيمية**: التركيز على التربية الأخلاقية والدينية لتعزيز القيم الإسلامية في المجتمع، ما يساهم في خلق مجتمع متماسك وملتزم بالقيم والمبادئ الإسلامية.

ثانيًا-العنصر الاقتصادي (العمل والإنتاج):

لكي يحقق العنصرُ البشريُّ عمارةَ الأرضِ؛ فلا بُدَّ له منَ العملِ باستمرارٍ من أجل تنمية الأرض وعمارتها، فقد جاء في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **(إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا)**[2].

والمقصود بالعمل: "بذلُ الجُهدِ الدائبِ في تثمير الموارد، ومضاعفةِ الغلَّةِ من أجلِ رخاء الأمة، ودعم وجودها، وقِيَمِها العليا"[3].

---

[1] أسس الاقتصاد الإسلامي في القرآن الكريم، د. ياسر محمود صالح أبو حسين، ص216، مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية، مجلد (27)، عدد (22)، 2019م.

[2] أخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم: 479، باب: اصطناع المال، ص168، الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256ه)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط3، 1409ه – 1989م. الحديث: صحيح.

[3] الإنتاج والتنمية، إبراهيم خريس، ص12، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي الأول لمعهد العلوم الاقتصادية التجارية وعلوم التسيير بعنوان: الاقتصاد الإسلامي، الواقع ورهانات المستقبل"، الذي ينظمه المركز الجامعي بغرداية-الجزائر، في الفترة 23/24/ 2010م.

قلتُ: هذا الحديث يبعث الأملَ، ويزرع التفاؤلَ في نفوس الناس في أَحْلَكِ الظروف حتى ولو قامت الساعة، فكيف بدمار الأرض السورية؛ فمن باب أَوْلَى غَرْسُها، وإعمارُها، وإحياؤُها، وإعادة الدورة الاقتصادية فيها من جديد.

يظهر لنا أنَّ إحياء الاقتصاد المحلي يكون في الأمور الآتية:

١. **تشجيع الصناعات المحلية:** دعم وتشجيع الصناعات المحلية والزراعة لزيادة الإنتاج وتحقيق الاكتفاء الذاتي. هذا يتماشى مع مبدأ الاعتماد على النفس وتقليل الاعتماد على الاستيراد.

٢. **تشجيع المشاريع الصغيرة والمتوسطة:** تمويل ودعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة لأنها تعتبر العمود الفقري للاقتصاد المحلي وتوفر فرص عمل كبيرة، ما يساهم في تحقيق الاستقرار الاقتصادي.

٣. **التجارة الحلال:** تشجيع التجارة البينية وفقًا لمبادئ التجارة الحلال، مما يعزز من فرص التصدير ويقوي الاقتصاد الوطني.

٤. **إعادة بناء البنية التحتية الاقتصادية:** مثل الأسواق والمصانع والمزارع، لتعزيز الاقتصاد المحلي وخلق فرص العمل.

المبحث الثالث: إعمار الأرض من نظرة أصولية واقتصادية

المطلب الأول: أولويات الأعمار من نظرة أصولية

سوف نركز على المجالات ذات الأولويَّة لإعادة الإعمار، والأدوات، والمبادئ الاستراتيجية لإعادة الإعمار.

إنَّ أي جهود لإعادة الإعمار يلزم أن نُعيدَ بناء البُنْية التحتية، والمؤسسية، يبدأ الإعمار من الزراعة، والطاقة، والإسكان، والنقل، والمياه والصرف الصحي، والبُنْية التحتية للرعاية الصحية، والبنية التحتية للتعليم، وسنحتاج لبناء رأس المال البشري، ورأس المال المادي، ورأس المال الاجتماعي.

وعليه فمبدأ إعمار الأرض من الضروريات ثم الحاجيِّات ثم التحسينيَّات، ضمنَ برامجَ مُعدَّة بشكل صحيح وسليم، فهناك برامج تكون على المدى المُجْدِي القصير، والمدى المُجْدِي المتوسط، والمدى المُجْدِي الطويل، وكل هذا يحتاج إلى وقتٍ وجُهْدٍ وصبرٍ.

اهتم (الأصوليون) بتحديد الأولويات الإسلامية، التي يجب الالتزامُ بها في مجالات العمل المختلفة سواء كانت متعلقةً بالطاعات والعبادات أو بعمارة الأرض، أو الاستثمار، أو الاستهلاك، أو نحو ذلك:

فكان من أبرز هؤلاء الأصوليين، الإمامُ الغزالي في (كتابه المستصفى في علوم الأصول)، والإمامُ الشاطبي في كتابه (الموافقات)، وفيما يأتي نبذة موجزة عن مفهوم الأولويات من نظرة أصولية.

تتمثل الأولويات الأصولية في الضروريات ثم الحاجيات ثم التحسينيَّات.

قال الغزالي: "وَمَقْصُودُ الشَّرْعِ مِنْ الْخَلْقِ خَمْسَةٌ: وَهُوَ أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَنَفْسَهُمْ وَعَقْلَهُمْ وَنَسْلَهُمْ وَمَالَهُمْ، فَكُلُّ مَا يَتَضَمَّنُ حِفْظَ هَذِهِ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ فَهُوَ مَصْلَحَةٌ، وَكُلُّ مَا يُفَوِّتُ هَذِهِ الْأُصُولَ فَهُوَ مَفْسَدَةٌ وَدَفْعُهَا مَصْلَحَةٌ"[1].

وقال الشاطبي: " فَقَدَ اتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ – بَلْ سَائِرُ الْمِلَلِ – عَلَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ وُضِعَتْ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى الضَّرُورِيَّاتِ الْخَمْسِ –وَهِيَ: الدِّينُ، وَالنَّفْسُ، وَالنَّسْلُ، وَالْمَالُ، وَالْعَقْلُ– وَعِلْمُهَا عِنْدَ الْأُمَّةِ كَالضَّرُورِيِّ"[2].

فقال الشاطبي: "تَكَالِيفُ الشَّرِيعَةِ تَرْجِعُ إِلَى حِفْظِ مَقَاصِدِهَا فِي الْخَلْقِ، وَهَذِهِ الْمَقَاصِدُ لاَ تَعْدُو ثَلاَثَةَ أَقْسَامٍ: أَحَدُهَا: أَنْ تَكُونَ ضَرُورِيَّةً. وَالثَّانِي: أَنْ تَكُونَ حَاجِيَّةً. وَالثَّالِثُ: أَنْ تَكُونَ تَحْسِينِيَّةً"[3].

يمكن أن نُعرِّف الضروريات، والحاجيات، والتحسينيَّات، مع الأمثلة لذلك. وتتحدد أولويات إعادة إعمار الأرض السورية بناءً على عدة مبادئ شرعية وأصولية تشمل:

الضروريات وهي: "لاَ بُدَّ منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بِحَيْثُ إِذَا فُقِدَتْ لَمْ تَجْرِ مَصَالِحُ الدُّنْيَا عَلَى اسْتِقَامَةٍ، بَلْ عَلَى فَسَادٍ وَتَهَارُجٍ وَفَوْتِ حَيَاةٍ، وَفِي الأُخْرَى فَوْتُ النَّجَاةِ وَالنَّعِيمِ، وَالرُّجُوعُ بِالْخُسْرَانِ الْمُبِينِ"[4].

الأهمية القصوى للضروريات الحفاظ على النفس والمال: تُعدَّ حماية الأرواح والأموال من الضروريات الكبرى في الشريعة. لذا، يُعطى الأولوية لإعادة بناء المناطق التي تأثرت بشكل كبير، وتحسين الوضع الأمني والاقتصادي لضمان حماية الممتلكات والأرواح.

---

[1] المستصفى، ص174، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505ه)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، 1413ه -1993م.

[2] الموافقات، للشاطبي، ج1، ص31، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790ه)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417ه/ 1997م.

[3] المرجع السابق، ج2، ص17.

[4] المرجع نفسه، ج2، ص18.

ويليها إعطاء الأولوية لإعادة إعمار البنية التحتية الأساسية التي تمس حياة الناس مباشرةً، مثل تأمين الماء والكهرباء، وإعادة بناء المستشفيات والمدارس. هذه الأولويات تتماشى مع مبدأ "**رفع الضرر**"[1] الذي يُعدُّ من الضروريات في الشريعة الإسلامية.

وتأمين الحد الأدنى من المأكل الأساس، والحد الأدنى من المشرب، والحد الأدنى من الملبس، ومواصلات عامة للتنقل الضروري، وأدوية أساسية للعلاج من الأمراض، وتعليم القراءة والكتابة، والحد الأدنى من الأمن على الحياة والعرض والمال[2].

الحاجيات: "وَمَعْنَاهَا أَنَّهَا مُفْتَقَرٌ إِلَيْهَا مِنْ حَيْثُ التَّوْسِعَةِ وَرَفْعِ الضِّيقِ الْمُؤَدِّي فِي الْغَالِبِ إِلَى الْحَرَجِ وَالْمَشَقَّةِ اللَّاحِقَةِ بِفَوْتِ الْمَطْلُوبِ"[3].

أمثلة ذلك: وتشمل **الحاجيات** مأكلاً كافيًا، ومشربًا وافيًا، وملابسَ ملائمةً، ومأوىً مناسبًا، وأجهزةً منزليةً ميسرةً للعمل المنزلي، ومياهًا صالحةً للشرب، ومواصلاتٍ عامةً سهلةً، وأدويةً للوقايةِ وعلاجًا من الأمراض، وتعليمًا ابتدائيًّا وثانويًّا ومهنيًّا، وخدمات إرشادية، ومراجعَ دينيةً موسعةً ومفهرسةً، وحدًا ملائمًا من الأمن على الحياة والعِرْضِ والمال[4].

التحسينيَّات: "مَعْنَاهَا الأَخْذُ بِمَا يَلِيقُ مِنْ مَحَاسِنِ الْعَادَاتِ، وَتَجَنُّبُ الْمُدَنِّسَاتِ الَّتِي تَأْنَفُهَا الْعُقُولُ الرَّاجِحَاتُ"[5].

أمثلة ذلك: تشمل **التحسينياتُ** مأكلاً مُحسَّنًا، ملابسَ محترمةً، وسكنًا واسعًا وجميلاً دون إسراف، وأجهزة منزليةً متطورةً دون إسراف، ومواصلاتٍ خاصة ملائمة، وخدماتٍ طبيةً وأدويةً وقائيةً. وما زاد عن هذه السلع والخدمات وخرجَ عن هذا النطاقِ، يُعدُّ إسرافًا وترفًا، ومفسدةً للفرد والمجتمع ومنهيًّا عنه شرعًا[6].

---

[1] علم أصول الفقه، للخلاف، ص133، عبد الوهاب خلاف (ت: 1375ه)، مكتبة الدعوة - شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم)، ط8، دار القلم.

[2] الإنتاج والتنمية، إبراهيم خريس، ص16، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي الأول لمعهد العلوم الاقتصادية التجارية وعلوم التسيير بعنوان: الاقتصاد الإسلامي، الواقع ورهانات المستقبل"، الذي ينظمه المركز الجامعي بغرداية-الجزائر، في الفترة 23/24/ 2010م. بتصرف.

[3] الموافقات، للشاطبي، ج2، ص21.

[4] الإنتاج والتنمية، إبراهيم خريس، ص16. بتصرف.

[5] الموافقات، للشاطبي، ج2، ص22.

[6] الإنتاج والتنمية، إبراهيم خريس، ص16. بتصرف.

يتضح أنَّ إعمار الأرض أينمَا كنَّا، ضرورةٌ دينيةٌ، ومجتمعيةٌ، وحضاريةٌ.

المطلب الثاني: لوازم مراحل إعمار الأرض السورية حسب مبدأ نظرية الضروريات الخمس

الضروريات الخمس تعطينا الأبعاد اللازمة لإعادة الإعمار نبدأ من:

١. **حفظ الدين**: وتشمل العقيدة الصحيحة، والعبادات، والحُسْبة، وإقامة العدل، والجهاد في سبيل الله.

- العقيدة: تشمل إقامةَ خدمات دعوية، ووعظًا، وإرشاداً، وإقامةَ ندواتٍ، ودوراتٍ توعويةٍ، ونشرَ المطويّاتِ، والمطبوعاتِ الدينيةِ، وإنشاء المعاهد، والمراكزِ الدينية، وتدريبَ وتأهيل الدعاة بالفكر المعتدل الوسطي.
- العبادات: مثل بناء المساجد لإقامة الجمعة والجماعات، وتأهيل جُباة الزكاة، وتجهيز كوادر الحج، ولوازم معرفة دخول فريضة الصوم، ومعرفة مواقيت الطاعة والعبادة.
- الحِسْبَة: كتجهيز خِدْمات نظام المراقبين، والمراجعين على الأسواق وغيرها.
- العدل: إقامة العدل في كل شأن، ونشر فكرة الشورى في ثقافة المجتمع، وتنفيذ العقود والعهود المُبْرَمةِ بين الناس، وإعطاء المواريث لأهلها.

٢. **الجهاد في سبيل الله تعالى**: كتأمين نفقات إعداد المجاهدين، ووسائل الجهاد[1].

٣. **الحفاظ على التراث الثقافي والديني**: يُعطى اهتمام خاص لترميم وحماية المواقع الأثرية والدينية، حيث إن الحفاظ على التراث الثقافي والديني يُعتبر من أهداف الشريعة الإسلامية، التي تدعو إلى صيانة الهوية الثقافية والدينية للمجتمع.

كل ذلك لضمان توفير بيئة ملائمة لممارسة الشعائر الدينية بإعادة بناء الأماكن التي تتيح للمجتمع ممارسة عباداتهم بشكل طبيعي وآمن. لاستمرار العبادة والتعليم الديني.

٤. من **لوازم إعمار النفس البشرية**، ما يلي:

- تأمين الطعام: كالخبز، والحبوب، والبقول، واللحوم، والمياه، والملح.
- تأمين الكساء: كالملابس، والأحذية، ولوازم نظافة المنازل والثياب.
- تأمين المسكن: والأثاث، ومستلزمات البيت، ومستلزمات الأمن، والمرافق.

[1] الإنتاج والتنمية، إبراهيم خريس، ص17، بتصرف.

- تأمين الرعاية الصحية: كالخدمات الطبيّة، والمُمَرِّضين، والأدوية، والمستشفيات، والإسعاف.
- تأمين المرافق العامة: كإقامة الطرق والجسور، والسدود، والمطارات، والكهرباء، والمياه، والصرف الصحي.
- تأمين المواصلات والاتصالات: كوسائل النقل، والشحن، ووسائل الاتصالات المختلفة.
- توفير الأمنِ للناس: الأمن للأفراد والجماعات، والمؤسسات والشركات، وللمجتمع كُلِّه.
- تأمينُ فُرَص العمل والتشغيل: كإيجاد فُرَص عمل، وتدريب الكوادر العاملة للعمل.
- دعم برامج الرعاية الاجتماعية: كمتطلبات رعاية المسنين، والعَجَزَةِ، والمَعُوقين، والأرامل[1]. كل ذلك لحماية الفئات الضعيفة مثل الأيتام والأرامل، وضمان حصولهم على الرعاية والحقوق اللازمة.
- تعزيز التماسك الاجتماعي: من خلال برامج المصالحة والتواصل التي تدعم العلاقات الأسرية والاجتماعية.

٥. من **لوازم إعمار العقل الإنساني**، ما يأتي:

- نشر التعليم بكافة صُورِه، وأشكاله، ومستلزماته من المعلِّم، والكِتَاب، والمكان، والأدوات التعليمية. وإعادة بناء مؤسسات التعليم: المدارس والجامعات والمراكز التعليمية لتوفير التعليم والتدريب اللازمين للأجيال القادمة.
- الإعلام، ونشر الثقافة مثل برامج التوعية الفكرية، والخلقية، والاجتماعية الإسلامية السليمة. التي تعزز من الوعي المجتمعي وتحسِّنُ من المعرفة والمهارات.
- البحث العلمي: ومستلزماته من مخابر وكتب، وإعداد المناهج الدراسية، وبحوث العلوم المختلفة، والأخذ بأساليب التقنية الحديثة[2].

٦. من لوازم إعمار النسل في الأرض أو حفظ (النسب) ما يأتي:

- الزواج، وما يَتطلبْ من الإعانات للشباب للزواج، وتنظيم عقوده.
- رعاية الحوامل، والمرضعات، والأجنَّة.
- رعاية الأطفال، وما يتطلب ذلك من مراكز الحضانة، وصحة الطفل، وتأهيل المعوقين.

---

[1] الإنتاج والتنمية، إبراهيم خريس، ص17، بتصرف.

[2] المرجع السابق، ص17، بتصرف.

– رعاية الأيتام، وما يتطلب ذلك من إنشاء الملاجئ، والمدارس الخاصة بهم[1].

من **لوازم إعمار المال في الأرض، ما يأتي:**

١. إنشاء سوق مالية إسلامية.

٢. تنظيم الإصدارات النقدية.

٣. متطلبات المحافظة على المال من الغَصْبِ والابتزازِ والسَّرِقَةِ.

٤. خدمات توثيق الملكية ونقلها.

٥. خدمات التوعية بمصادر الكسب الحلال.

٦. خدمات توضيح قواعد المعاملات الإسلامية[2].

وهكذا تتطلب منا كل مرحلة من مراحل إعادة الإعمار تلبية هذه الضروريات الخمس لضمان تحقيق التنمية الشاملة والعدالة الاجتماعية، مع الحفاظ على القيم والمبادئ الإسلامية.

أهم نتائج البحث:

١. مفهوم الإعمار هو الإحياء للحياة الكريمة بكل معانيها (الإنسان، الأرض).

٢. الإنسان مستخلف في الأرض لعمارتها، لا لإفسادها وخرابها.

٣. الحكم الشرعي لإعمار الأرض بالنسبة للمسلم واجبٌ شرعي؛ لأنها عبادة من العبادات التي أُمر بالإتيان بها.

٤. دلّ القرآن، والسنة، على مشروعية إعمار الأرض.

٥. إعمار الأرض سنة الأنبياء – عليهم السلام –.

٦. ثَمَّ آثارٌ سيئة على الأرض السورية نتيجةَ الحربِ عليها.

٧. يهدف الاقتصاد الإسلامي لإعادة إعمار الأرض التنميةَ الشاملةَ، والاستدامةَ.

٨. الإنسان هو المحور الأساس لإعمار الأرض.

٩. أولويات الإعمار تبدأ أصولياً من الضروريات، ثم الحاجيات، ثم التحسينيَّات.

١٠. الأرض السورية تواجه عوائق وتحديات يجب تلافيها، والقضاء عليها.

---

[1] المرجع نفسه، ص17، بتصرف.

[2] الإنتاج والتنمية، إبراهيم خريس، ص18، بتصرف.

١١ . توجد عدة اتجاهات لآلية الإعمار (أ تحديث وتطوير. ب مزج بين القديم والحديث) .

١٢ . برامج الإعمار مختلفة منها (ذاتي، مؤسسات الدولة، مؤسسات المجتمع المدني، المقاولِون) .

التوصيات :

١ . العمل على حفظ التراث الديني، والتاريخي، والثقافي، للأرض السورية؛ حتى لا تضيع الهوية، وتندثر المعالم الحضارية لها في أثناء عملية الإعمار .

٢ . العمل تحت قيادة مركزية واحدة لعملية الإعمار .

٣ . الاهتمام بالإنسان السوري أينما كان لأنه هو صاحب الأرض والعِرْضِ، ومحاولة إقناعه بالرجوع إلى أرضه، ووطنه، لأنه هو المقصود أولاً وآخرًا من الإعمار .

٤ . توجيه عملية الإعمار نحو الاستدامة .

٥ . الالتزام بالأولويات (الإعمار ضروري، حاجي، تحسيني) .

٦ . الاستفادة من تجاربِ الدول الأخرى التي أصابتها الحروب، بكيفية إعادة الإعمار، للقضاء على السلبيات، والتخفيف من الأخطاء .

٧ . يُشكلُ البحث نواة لينطلق منه طلاب الماجستير، والدكتوراه في الاقتصاد الإسلامي، حتى يتم تناوله بشكل أوسع .